تفسير إبن كثير

وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا

وقوله : (وإني خفت الموالي من ورائي) : قرأ الأكثرون بنصب " الياء " من (الموالي) على أنه مفعول ، وعن الكسائي أنه سكن الياء ، كما قال الشاعر :كأن أيديهن في القاع الفرق أيدي جوار يتعاطين الورقوقال الآخر :فتى لو يباري الشمس ألقت قناعها أو القمر الساري لألقى المقالداومنه قول أبي تمام حبيب بن أوس الطائي :تغاير الشعر فيه إذ سهرت له حتى ظننت قوافيه ستقتتلوقال مجاهد ، وقتادة ، والسدي : أراد بالموالي العصبة . وقال أبو صالح : الكلالة .وروي عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي االله عنه - أنه كان يقرؤها : " وإني خفت الموالي من ورائي " بتشديد الفاء بمعنى : قلت عصباتي من بعدي .وعلى القراءة الأولى ، وجه خوفه أنه خشي أن يتصرفوا من بعده في الناس تصرفا سيئا ، فسأل االله ولدا ، يكون نبيا من بعده ، ليسوسهم بنبوته وما يوحى إليه . فأجيب في ذلك ، لا أنه خشي من وراثتهم له ماله ، فإن النبي أعظم منزلة وأجل قدرا من أن يشفق على ماله إلى ما هذا حده أن يأنف من وراثة عصباته له ، ويسأل أن يكون له ولد ، فيحوز

ميراثه دونه دونهم . هذا وجه .الثاني : أنه لم يذكر أنه كان ذا مال ، بل كان نجارا يأكل من كسب يديه ، ومثل هذا لا يجمع مالا ، ولا سيما الأنبياء ، عليهم السلام ، فإنهم كانوا أزهد شيء في الدنيا .الثالث : أنه قد ثبت في الصحيحين من غير وجه : أن رسول االله صلى االله عليه وسلم قال : " لا نورث ، ما تركنا فهو صدقة " وفي رواية عند الترمذي بإسناد صحيح : " نحن معشر الأنبياء لا نورث " وعلى هذا فتعين حمل قوله : (فهب لي من لدنك وليا يرثني) على ميراث النبوة; ولهذا قال : (ويرث من آل يعقوب) ، كما قال تعالى : (وورث سليمان داود) [النمل : 16] أي : في النبوة; إذ لو كان في المال لما خصه من بين إخوته بذلك ، ولما كان في الإخبار بذلك كبير فائدة ، إذ من المعلوم المستقر في جميع الشرائع والملل أن الولد يرث أباه ، فلولا أنها وراثة خاصة لما أخبر بها ، وكل هذا يقرره ويثبته ما صح في الحديث : " نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركنا فهو صدقة " .